أشياء مكسورة لدرجة لايمكن أصلاحها

(مرقس ١٦:١-٨)

تأليف: جو شوبيرت

تم وصف الأيام بعد موت ربنا في الأصحاح الأخير من إنجيل مرقس والآيات الثمانية الأخيرة. وبعد مرور يوم السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهن جسد يسوع. باكراً جداً في أول الأسبوع، وبعد الشروق مباشر، كن في طريقهن إلى القبر. كن يسألن بعضهن البعض: « من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟ » ولكن عندما نظرن إلى الأعلى، رأين أن الحجر العظيم قد دحرج. ولما دخلن القبر، رأين شاباً جالساً على اليمين لابساً حلة بيضاء، فاندهشن. فقال لهن: « لا تندهشن! أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام! ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه! لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم. » فهربت النساء من القبر وهن مرتعدات ومحيرات ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات.

في قصيدة شعرية قديمة بعنوان: « الأرملة على جانب الطريق »، صور جون ماسفيلد مشهد مسرحي مؤلم. شاباً على وشك الأعدام شنقا من قبل الدولة بسبب الجرائم التي ارتكبها. من بين الجمع الذي كان يشهد الحدث كانت أمه. لما فتح الباب المسحور، وأدى حبل الشنق مهمته، سقطت الأم منهارة على الأرض وبدأت تنشج باكية. الذين وقفوا بجوارها سمعوا انها تقول شيء عن « أشياء مكسورة، بحيث لا يمكن إصلاحها. » من غير شك، ان جزء من آلام هذه المرأة كان ذكرى عن اخفاقاتها في الماضي كأم وشعورها بالعار عند هذا الاخفاق الذي يشهد عليه العالم. ولكن كان أيضاً جزء من تلك الآلام من غير شك، صلتها بالمستقبل. تُركت الآن وحيدة في العالم، من غير زوج ومن غير ابن. آمنت بان ليس هناك شيء لتعيش من أجله. لم يكن هناك مستقبل ولا رجاء. هناك فقط شعور عميق باليأس والقنوط. كانت هناك أشياء مكسورة، بحيث لا يمكن إصلاحها. »

ذلك التعبير هو تعبير مرعب، لأنه لا يدل على شيء يمكن أن تعيش من أجله، لا شعور يبشر بالأمل في الأفق. كما أعرفه، هذا مصدر اليأس. أن تجد نفسك في موقع ما في الحياة حيث يكون هناك الماضي والحاضر، ولكن ليس هناك المستقبل. لا يوجد شيء أبداً تتطلع إليه.

١. يأس التلاميذ

من المثير للعجب أن تعرف التشابه بين شعر جون ماسفيلد والظروف التي أحاطت بموت يسوع. في القصيدة الشعرية هناك شاباً تعدمه الدولة في حضور أمه. عندما مات يسوع في ذلك اليوم، الجمعة الساعة ٣ بعد الظهر، مات معه رجاء المئات من الناس. كانوا قد أمنوا بانه المسيا. منذ أن بدأ يعلم في الجليل

وعمل عجائبه العظيمة في فلسطين، انتشر الخبر سريعاً بانه كان حقاً منقذ إسرائيل المنتظر منذ عصور. بدأ عامة الناس يضطربون بالرجاء والفرح، ولكن، كما اشتهر سريعاً، انقلب التيارضده. قبل أن يلاحظ معظم الناس ما كان يحدث، كان هو مجرماً وأخيرا صدر عليه الحكم بالصلب كما في سجلات الروم.

تتحدث القصيدة الشعرية عن «أشياء مكسورة، لدرجة لا يمكن إصلاحها.» لابد وان هذا كان شعور أتباعه في بعد ظهر تلك الجمعة عندما وضعوا جسده بعجل في القبر المستعار قبل غروب الشمس. في تلك الليلة سقطت على الأرض بالدموع أكثر من امرأة واحدة. في اللحظة التي توقعن فيها الكثير جداً، انتهى كل شيء فجأة. في ذلك السبت بعد موت يسوع لا بد انه كان أسود يوما قضاه تلاميذ يسوع على الاطلاق. ما نجحت كلا من أورشليم وروما بكسره، ظهر إلى العالم أجمع بصورة لا يمكن إصلاحه أبدا.

٢. الدهشة في يوم الأحد

ومن ثم، كما يخبرنا مرقس، حدث ما هو غير متوقع على الاطلاق. في صباح الأحد باكرا، ذهبت مجموعة من النساء الى القبر ليدهنن جسد يسوع للمرة الأخيرة. كن متحيرات عن من سيدحرج الحجر العظيم من مدخل القبر. يقترح المتخصصون في دراسة الكتاب المقدس بان الحجر كان يبلغ وزنه حوالي ٤٤٦ كيلو غرام. هذه المشكلة الكبيرة لم تخطر ببالهن حتى عندما أقتربن من القبر. ولكن عندما وصلن رأين بان المشكلة قد حلت. قد تم دحرجة الحجر الثقيل.

وجدن أيضاً القبر فارغاً. ظنن أولاً بان هذه كانت ببساطة مأساة أخرى في قائمة النكبات. لم يفكرن بان هذا قد فعله الله. اعتقدن كما كان يعتقد أي فلسطيني في القرن الأول، بان لصوص المقابر قد نهبوا القبر ودنسوا الجسد أيضاً.

يخبرنا متى البشير كيف دحرج الحجر قبل وصول النساء. يقول إنجيل متى ٢٨:٢-٤ ما يلي: «وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات.» حدث كل هذا قبل وقت قليل من وصول النساء. وعند وصول النساء. يخبرنا الإنجيل بان الشاب الذي كان هناك هو ملاكاً. قال: «لا تندهشن! أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام! ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه.» ثم بدأت كل الأحداث تترتب. لم يكن يسوع ميتاً فيما بعد. الجسد الذي كان قد أميت في يوم الجمعة قد أُعيدت له الحياة في يوم الأحد! القبر الفارغ لم يكن من عمل لصوص المقابر، بل كان من عمل الله نفسه. لم يفهمن هذا بسهولة. كان يسوع حياً في العالم مرة أخرى! قال الملاك أيضاً: «لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه كما قال لكم» (آية ٧).

٣. نعمة الله

ماذا تعتقد يكون السبب في إشارة الملاك إلى بطرس بصفة خاصة لكي يُخبر بهذا الخبر؟ تم هذا لأنه قبل ثلاث أيام، كان بطرس قد أنكر أية صلة له مع الرب. هذا يؤكد الحقيقة بانه، بالرغم من أن بطرس قد أنكر يسوع، إلا ان يسوع لم يرفضه.

كان هذا صحيحا بالنسبة لكل التلاميذه. في الليلة التي أسلم فيه يسوع، فعل الرسل الآخرين ما فعله بطرس. تركه كل الباقون ورفضوا أن يقفوا بجانبه. مضوا وهربوا خوفاً على حياتهم. ولكن بحلول القيامة يوجد اثبات بانه بالرغم من تخلي التلاميذ عنه، لم يتخلى هو عنهم. في وجه النكران والخيانة وحتى الصلب، كان الله يقول: «إني لا أتخلى عن هؤلاء الرجال، وأيضاً إنى لا أتخلى عن العالم.» ما ظنوا بانه قد انتهى ومضى، الشيء المحطم جداً بحيث لا يمكن إصلاحه، مازال يتمتع بكامل الحياة. هذه الملاحظة المفاجأة قد غيرت مجرى الأحداث بالنسبة لأولئك التلاميذ؛ قد

أعطاهم وجهة نظر جديدة على الحياة قيامة يسوع قد أعادت في ذاكرة هؤلاء التلاميذ مرة أخرى بان الله يمكن الاعتماد عليه عندما يفكر أحد في المستقبل.

هذا شيء ننساه بسهولة في هذه الحياة القاسية والصاخبة. أنت وأنا نميل للنظر إلى الأحداث أفقياً، كما لو كانت حكمتنا ومعرفتنا وطاقتنا كلها من القوات التي تعمل في هذا العالم. قد استخلصنا بانه لو لا نستطيع أن نتصور كيف نحقق شيء بقوتنا وذكائنا، إذاً ذلك الشيء لا يمكن تحقيقه. نحن مثل النساء اللواتي قلقن عن من سيدحرج الحجر. أدركن التغير الذي كان فوق قدراتهن وامكانياتهن لحله. ولكن عندما وصلن، كان قد تم عمله.

لله أيضاً دور في المستقبل بما هو ممكن وغير ممكن. يملك الله كل من القوة والرحمة فوق كل ما يمكن أن نتصور. في الرسالة إلى أهل رومية ٤:١٧ يشير بولس إلى الله كالله الذي يحي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. استطاع الله أن يأخذ جسد ميت الذي فارقته الحياة، ويعيد ذلك الجسد إلى الحياة. استنتاجات بولس في الأصحاح ٤ من رسالته إلى أهل رومية بان هذا مماثل إلى ما فعله الله عندما أخذ الأشياء التي لم تكن في حيز الوجود ودعاها إلى الوجود بكلمة قدرته. هذا الحد الأقصى كما يختص بالقوة. يغير إلى الأبد الطريقة التي ننظر بها إلى كلمتي ممكن وغير ممكن. ما هي المشكلة الخطيرة جداً أو المعقدة جداً لله الذي هو الخالق والذي يقيم الموتى؟ إن كان الله قادراً أن يقيم يسوع من الموت، ما الحجر الذي في حياتنا اليوم الذي لا نملك القدرة لدحرجته؟

ما أعظم حقيقة، ان الله كان يرغب أن يقيم يسوع من الأموات، بالأخص بعد طريقة تعامل العالم مع ابنه! الرحمة والصبر المعبر عنهما في قيامة المسيح يفوقان الفهم البشري. يسوع يمثل أفضل جهد لله ليعمل شيء لهذا الكوكب المتمرد. حالما حدثت الخطية الأولى في العالم، وضع الله خطة ليفتدي الإنسان من خطيته. تكلم الله مع ابراهيم واسحق ويعقوب ومع احفادهم وأظهر لهم مشيئته. في وقت لاحق أعطى الناموس والأنبياء والكهنة. كانت محاولات الله للتفقد طويلة، كان الصليب قمة المحاولة. هذا، كانه كان يقول: «هذا هو ابني، الذي هو مثلي. ستسمعون له بكل تأكيد.» في البداية عمل مع هذا الابن بالعواطف الرقيقة. ومن ثم، العالم نفسه الذي كان قد رجم الأنبياء وانتهك الناموس انقلب على الابن. في النهاية، رُفض كلياً وعُذب وأخيراً قُتل.

الوالدة أو الوالد الحسّاس فقط هو الذي يمكن أن يبدأ بفهم كيف شعر الله بعد ظهر ذلك اليوم، أي الجمعة. افترض بانك علمت عن أسرة في منطقتك تحتاج حقاً إلى مساعدة. وقررت أن تعمل ما بوسعك لتساعدهم. ضمنت عمل للرجل، وأعطيتهم مكاناً ليسكنوا فيه وفعلت ما في قدرتك لتوفر بعض الاحتياجات الأخرى لهذه الأسرة. ولكن زادت الاحتياجات بصورة أسوأ. رفض الوالدين العمل؛ ودمروا المكان الذي كانوا يسكنون فيه. عندما لاحظتُ بان المهمة أكبر مما اتفقتُ عليه، دعيتُ العامل الاجتماعي (الذي يعمل لتوفير العمل والعون المادي للمعوزين) ودعيت وكالات الغوث ولكن رفضت الأسرة كل المساعدات التي قدمت. وذات يوم، قال ابنك: «دعني احاول مساعدة هذه الأسرة. بالنظر إلى كل ما حاولت أن تفعله لهم، وبالنظر إلى الحقيقة باني ابنك، لعلهم سيصغون إليّ» فيذهب الابن ليتفقد الأسرة، ولكن بدلاً من أن يطردوه فقط كما فعلوا مع الآخرين الذين حاولوا أن يساعدوهم، قيدوه على كرسي وعذبوه وقتلوه عمداً. كيف يكون سلوكك؟ هل ستعتبر هذا الأسرة عديمة القيمة وميئوس منها؟ طبعاً سيحدث ذلك. ومع كل هذا، هل بامكانك ان تؤمن بان بقيامة يسوع من القبر قال الله مرة أخرى: «ما زال هناك مستقبل لهؤلاء الناس الذين رفضوا كل اقتراح قدمته. سأحاول مرة أخرى مساعدتهم.»

بمناداة التلاميذ وبطرس ليلاقيهم، قد أعلن الله بذلك الرحمة وطول الآناة ورجاء لا يصدق

أبداً. هذا هو الإله الذي ينبغي أن نعتمد عليه عندما نفكر في المستقبل. من نحن حتى ننظر إلى الأشياءالمكسورة ونقول انها محطمة بحيث لا يمكن إصلاحها؟ إن كان الله قادراً ومستعداً ليأخذ جسد يسوع المكسور ويحيه، فما الذي في حياتنا لا يمكن له ان يصلح؟

٤. رجاء للذين بلا رجاء

من إحدى أعظم العظات في الزمن السابق، العظه التي ألقاها كارل مارني بعنوان «يد الله القوية.» كانت عن يهوذا والمأساة النهائية لحياته. كارثته، كما يقول مارني لم تكن الحقيقة بانه خان يسوع، بل في الحقيقة انه لم يمكث وقتاً كافياً ليرى ما قد يفعله الله مع المرتدين البشر. بعبارة أخرى، خطية يهوذا كانت خطية يأس. عندما شعر أخيراً بتأثير كامل لما قد فعله، كان أكثر مما يستطيع أن يتحمل. اتضح له أن الشيء مكسور بحيث لا يمكن إصلاحه. رأى نفسه كشخص لا يملك أية صفة للفداء على الاطلاق، ومخلوق خسيس إلى أقصى حد كانت الرحمة مستحيلة عليه، لذا قتل نفسه. ولكن يا للأسف، ياللأسف!

لو كان يهوذا قد انتظر حتى صباح ذلك الأحد فقط حينما أقام الله يسوع من القبر، لكان قد سمع من غير شك بان الملاك قد أعلن للنساء: «ليس هو ههنا اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس ويهوذا إنه يسبقكم إلى الجليل.» ما فعله يهوذا لم يكن أسوأ مما فعله بطرس. وما فعله بطرس لم يكن أسوأ مما فعله التلاميذ الآخرين. كانت هناك رحمة كافية حتى ليهوذا.

هل تو جد في حياتك أشياء تبدو مكسورة – آمال، صحة، زواج؟ ربما يبدو المستقبل لبعضكم كئيباً. ليس المسقبل إلا عثرات يجب أزالتها. اسمع، يوجد هناك الله أيضاً! هو الذي يجب الاعتماد عليه. يوجد لله قوة كافية ورحمة كافية ليتعامل مع ما لديك من اشياء مكسورة. لا يوجد شيء مكسور بحيث لا يمكن إصلاحه عند الله. هذا هو خبر القيامة.

هذا يترك انطباعا ان نعتبر عدد النصوص في العهد الجديد التي تربط معاً قوة الله الذي أقام يسوع من الموت والقوة التي يشاء الله ان يعمل بها من خلالنا كشعبه اليوم. في رسالته إلى أهل أفسس ١:١٨–٢٠ يكتب بولس ما يلي:

> مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين. وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته. الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات.

تقول رومية ٨:١١ ما يلي: «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام يسوع من الأموات سيحي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» وتقول رومية ٦:٣ و ٤ ما يلي: «أم تجهلون أننا كل من أعتمد ليسوع المسيح من الأموت بمجدالآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة.»

الخلاصة

الفرق بين اليأس والرجاء هو الله. الفرق بين الإحباط والوفاء هو الله. الفرق بين موت يسوع في يوم الجمعة وقيامة يسوع في يوم الأحد هو الله. الفرق بين حياة الاخفاق القديمة والخطية وحياة النصر الجديدة والقوة هو الله. توجد هناك قوة من أجلك؛ وتوجد هناك رحمة لك؛ توجد هناك مغفرة لك هل تشاء أن تعطيه حياتك!؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧